الدر النضيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الحمد لله الواحدة والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصلى الله عليه وعلى أله وصحبه اللهم اجعل عملنا صالحًا ولوجهك خالصًا ولا تجعل لأحد فيه غيرك شيئًا اللهم لا حول ولا قوة لنا إلا بك فأعنا بحولك وقوتك على إتمام ما بدأناه إنك ولي ذلك ومولاه وبعد .

ما زلنا بفضل الله تبارك وتعالى ومنّه وكرمه علينا مع كتاب { **الدر النضيد** } والله تبارك وتعالى أسأل أن يتمه علينا على خير وبركة، وأن يعصمنا فيه وإياكم الخطأ والزلل، إنه ولي ذلك وحده القادر عليه .

قال الإمام المصنف رحمه الله : { الحكمة من إرسال الرسل } .

حيث سيذكر لك في هذا الباب الحكمة من إرسال الرسل .

قال رحمه الله : { وبالجملة ، فالوارد عن الشرع من الأدلة على قطع ذرائع الشرك وهدم كل شيء يوصل اليه في غاية الكثرة. ولو رُمتُ - أو لو رمتَ - حصر ذلك على التمام ، لجاء في مؤلف بسيط. فلنقتصر على هذا المقدار ونتكلم على حكم ما يفعله القبوريون من الاستغاثة بالأموات ومناداتهم لقضاء الحاجات وتشريكهم مع الله في بعض الحالات، و إفرادهم بذلك فنقول: اعلم أن الله سبحانه لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم والرازق لهم ونحو ذلك ، فإن هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين } .

قلنا : الرسل أرسلهم الله تبارك وتعالى للتوحيد ، توحيد الله سبحانه وتعالى وأجلى مظهر من مظاهر التوحيد هو توحيد الألوهية أو الإلهية .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36] .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61] .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 65]

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ [هود: 84]

وفهم وعقل المشركون هذه المعاني عن الأنبياء والمرسلين فقالوا لهود : ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: 70] إذًا (اعبدوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) ما معناها عندهم كيف فهموها هكذا: (أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ) ففهموا هذه المعاني عن الأنبياء والمرسلين .

كذلك قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام : ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: 5 - 6] هنا، إن كان هذا هو شعار دعوة الأنبياء والمرسلين للتوحيد إلى الله سبحانه جل في علاه فما هي حقيقة توحيد الأنبياء والمرسلين؟.

فما هي حقيقة توحيد الأنبياء والمرسلين؟

وكأن المصنف رحمه الله عقد هذا الباب لبيان حقيقتين :

الحقيقة الأولى : حقيقة التوحيد الذي جاء به الأنبياء والمرسلين .

الحقيقة الثانية : حقيقة الشرك الذي كان عليه المشركين .

فحقيقة التوحيد الذي جاء به الأنبياء والمرسلين :

أولًا : التوحيد لفظًا شرعي .

سؤال : ما معنى لفظ شرعي؟ .

جواب : كلمة التوحيد لفظ شرعي أي وردت في { الكتاب أو السنة } .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل : [يعذب ناس من أهل التوحيد حتى يكونوا فيها حممًا ، ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون في نهر الحياة أو على أبواب الجنة] قال : [يعذب ناس من أهل التوحيد] .

وفي مسند أحمد : [أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مئة بدنة ، وأن هشام بن العاص بن وائل نحر حصته] أي أن العاص بن وائل نذر أن ينحر مئة بدنة ، وابنه هشام آخذ خمسين هو سينحرهم لأن أبوه مات ولم يوف بنذره هم يوفون بالنذر عن أبيهم ، فهشام أخذ حصته ونحر الخمسين ، وأن عمرًا وهو (عمرو بن العاص بن وائل) سأل النبي عليه الصلاة والسلام، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : [أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك] .

الشاهد عندنا : هو (أما أبوك لو كان يقر بالتوحيد) .

إذًا كان التوحيد لفظًا شرعيًا فمحالٌ ، محالٌ أن يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كيف نقضي حاجاتنا سبحانه جل في علاه، ثم لا يعلمنا التوحيد! يعلمنا عليه الصلاة والسلام قضاء الحاجة ويعلمنا عليه الصلاة والسلام بديهيات وأمور (كيف تأكل، كيف تطعم) إلى غير ذلك ولا يعلمك توحيد الله سبحانه جل في علاه هذا محال.

لذلك كما قال الإمام الشافعي رحمه الله - سُئل الإمام مالك رحمه الله عن الكلام في التوحيد – فقال : (محال أن نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد والتوحيد ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام 'أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فما عُصم به الدم والمال حقيقة التوحيد) هذا كلام من؟ مالك رضي الله عنه .

لذلك نقول (التوحيد) باختصار شديد هو(إفراد الله سبحانه جل في علاه بما يختص به من الربوبية ، والألوهية والأسماء والصفات، ونفيها عمن سواه) هذا الكلام منضبط فضبطه معي هو (إفراد الله تبارك وتعالى بما يختص به من الربوبية والإلهية والأسماء والصفات ، ونفي ذلك عمن سواه) .

لو أنت نظرت إلى هذا التعريف تجده قائم على ركنيين :

الركن الأول : ألا وهو الإثبات .

الركن الثاني : النفي .

وهذا ركن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) قائمة على نفي وإثبات فالإثبات (إثبات كل ما اختص الله سبحانه وتعالى به سواء كان في الربوبية أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته ونفيه ذلك عما سواه) .

سؤال : لماذا احتجنا إلى النفي؟ .

الإجابة بسيطة جدًا لو نفينا عمن سواه فقط، هل يلزم من ذلك إثبات ما يختص به؟ فلو قلنا مثلًا (عيسى ليس بإله بوذا ليس بإله هبل ليس بإله) هل يلزم من ذلك أن الله إله ؟ لا ، إذًا فالنفي المحض ليس كمالًا ولو أثبتنا أن الله إله سبحانه وجل في علاه ، هل يلزم من ذلك نفي الألوهية عن غيره؟ لا .

إذًا، فالنفي المحض ليس كمالًا، والإثبات لا ينفي التشريك لذلك كان لابد من الإتيان بالإثبات والنفي، وهما ركن (لا إله إلا الله) فالأسماء والصفات قائمة على الإثبات والنفي ، والربوبية قائمة على الإثبات والنفي، والألوهية قائمة على الإثبات والنفي فهل الأسماء قائمة على الإثبات والنفي؟ نعم ؟ قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ معناها (لا إله إلا الله) انتبه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هي ماذا؟ هي (لا إله إلا الله) لكن بشكل آخر

وهل (توحيد الربوبية) قائم على الإثبات والنفي :

الدليل قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] هذا اسمه ماذا حصر وقصر، تقديم وتأخير الخلق له والأمر له الخلق من الربوبية أو ليس من الربوبية؟ ربوبية والأمر من الربوبية أو ليس من الربوبية؟ ربوبية فالخلق له وحده ، إذًا الحصر والقصر يفيد إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما سواه هي هي (لا إله إلا الله) ، ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88] سبحانه جل في علاه ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف : 40] .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58] هذا حصر وقصر نعم تعريف طرفي الجملة، (هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) والحصر والقصر نفي وإثبات إثبات الحكم للمذكور وهو الله ونفيه عمن سواه .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: 38] لا أحد الله فقط سبحانه جل في علاه يضر وحده وهو الذي يملك الرحمة والنفع وحده سبحانه جل في علاه .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: 107] هذا أيضًا نفيوإثبات قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 106] الذين وقعوا في الشرك ، نسأل الله العفو والسلامة.

وفي توحيد الألوهية أين النفي والإثبات؟ :

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36] .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 256] .

والناظر في أقسام التوحيد (**ربوبية وألوهية وأسماء وصفات**) يرى أنها متداخلة فتوحيد الأسماء والصفات يستلزم

توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فبالتالي توحيد الألوهية يتضمن الربوبية والربوبية تتضمن

فلو أنت اعتقدت أن الله من أسمائه (**الخالق**) وصفاته تعتقد أن الله هو الذي خلق هذا الكون فهذا توحيد الربوبية

إذا اعتقدت أن الله من أسمائه (**الرزاق**) أو (**الرازق**) إذًا تعتقد أن الذي يرزق الطير ويرزقنا ويرزق جميع المخلوقات

هو الله سبحانه جل في علاه فإذا اعتقدت ذلك، فإنك إذا سألت الرزق تسأله من توحيد الألوهية إذًا رأيت أن المسألة

مترتبة كيف .

اعتقدت أن الله تبارك وتعالى شديد العقاب سبحانه جل في علاه ، وأن سبحانه جل في علاه أخذه شديد سبحانه جل

في علاه، وأنه إذا أخذ الظالم يأخذه أخذ عزيز مقتدر ثم ترى أثر ذلك في عباد الله سبحانه جل في علاه من خلق الجنة

والنار ومن عقوبة المعاقَب، هذا أيضًا ربوبية تقوم بفعل العبادات وترك المنهيات هذا اسمه ماذا؟ ألوهية .

فالأسماء والصفات تستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية وتوحيد الألوهية يتضمن ماذا

أي لا يجوز لك أن تعبد إلا وأنت عندك اعتقاد في الربوبية ولا يصح أن يكون عندك اعتقاد في الربوبية إلا وعندك

اعتقاد في الأسماء والصفات إذًا أعلى شيء هو توحيد الألوهية لذلك الأنبياء والمرسلين كان شعار دعوتهم هو توحيد

الألوهية .

هل معنى دعوة توحيد الألوهية أنهم لم يهتموا ببقية أنواع التوحيد؟ لا بل دعوتهم لتوحيد الألوهية دعوة لكل أنواع

التوحيد، إذ هو أعلى نوع من أنواع التوحيد إذ هو المقصد الأسمى .

الآن أنت عندما تذهب وتسأل ربك سبحانه جل في علاه تقول : (يا رب زوجني) هذا ما اسمه ؟ عبادة العبادة هذه

اسمها توحيد ماذا؟ ما الذي جعلك تقول لله؟ ولم تذهب وتسأل شيخك الذي هو اسمه توحيد ..... ممتاز! وتعتقد

فيه إنه هو الذي يرزق إذًا لأنك دعوت توحيد الألوهية كان داخله توحيد أسماء وصفات وتوحيد ربوبية إذًا توحيد

الأسماء والصفات يوصلك لتوحيد الربوبية، الذي يوصلك لتوحيد الألوهية فكانت دعوة الأنبياء والمرسلين دعوة قائمة على توحيد الألوهية .

وكذلك الله تبارك وتعالى عندما أراد أن يحتج على المشركين ، احتج عليهم بإيمانهم المُدَّعى ، لأن إيمانهم بالربوبية يا إخواننا لم يكن كاملًا، الإيمان المدّعى إيمانهم المدّعى على توحيد الربوبية قال الله تبارك وتعالى : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: 59 - 60] كل هذا اسمه توحيد ماذا؟ ربوبية انظر نتيجة الآية لم يقل (أرب مع الله؟) قال : (أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ) أي إذا كنتم معتقدين بذلك، فلماذا تصرفون العبادة لغير الله؟ (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ هذا توحيد ماذا ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ﴾ توحيد ربوبية : ﴿ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ إلى آخر الآيات .

الشاهد الذي أريد أن أقوله لحضرتك أن ربنا سبحانه وتعالى احتج عليهم بإيمانهم بالربوبية على أنه لزامًا عليهم إن كانوا مؤمنين بالربوبية حقًا، عليهم أن يصرفوا العبادة لمن؟ لله جل في علاه، لأن توحيد الربوبية يستلزم ولابد توحيد الألوهية الذي ذهب يسأل السيد البدوي يعتقد فيه النفع والضر، وإن كان لا يعتقد فيه نفعًا ولا ضرًا لماذا يسأله من دون الله ؟ واضح؟

فلما كان توحيد الألوهية يتضمن كل أنواع التوحيد، كان ظاهر دعوة الأنبياء والمرسلين هي الدعوة إلى (لا إله إلا الله) والتوحيد هو إفراد الله تبارك وتعالى بما يختص به من العبادة ونفيها عمن سواه وهذه يا إخواننا حقيقة دعوة الأنبياء والمرسلين .

المصنف هنا يقول : [وبالجملة فالوارد عن الشرع من الأدلة على قطع ذرائع الشرك وهدم كل شيء يوصل إليه في غاية الكثرة] :

أي هنا يقول لحضرتك أحاط الأنبياء والمرسلون دعوتهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى في لسياق حتى يمنعوا الناس من الاقتراب من جناب التوحيد ، وحتى لا يقعوا في الشركيات فسدوا كل ذريعة وسدوا كل باب يفضي إلى القدح في الشرك .

قال المصنف رحمه الله : [ولو رمت حصر ذلك على التمام ، لجاء في مؤلف بسيط، فلنقتصر على هذا المقدار] :

أي على الذي ذكره ما الذي ذكره؟ :

** النهي عن بناء المساجد على القبور، لماذا؟ حتى لا يُغال في المقبور فتُصرف إليه عبادة من دون الله .

** النهي عن الغلو في الصالحين، لماذا؟ حتى لا يُغال فيه فيصرف له العبادة من دون الله .

** النهي عن التصوير، لماذا؟ لذريعة الشرك .

** النهي عن قول (**سيدي**)، ذريعة للشرك .

** النهي عن قول (**عبدي وأمتي**) ذريعة للشرك .

** النهي عن قول (**ما شاء الله وشئت**) ذريعة للشرك والمساواة .

إذًا كانت هذه ذرائع، فاعلها لا يقصد الشرك بحال من الأحوال أنت منتبه والشرع مع ذلك حسمها وقطعها من بعيد، حتى يصون هذا الجناب المهيب من الوقوع فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كذلك الرسل أتوا على قوم لم يُنكروا الربوبية لكن انتبه لم ينكروا الربوبية لماذا؟ لأن المصنف قال (اعلم أن الله لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم والرازق لهم) .

المصنف كلامه هنا منضبط صراحة لم يقل (على قوم ليعرفهم أنه هو الرب) لماذا؟ لأنهم كان عندهم إنكار بعض معاني الربوبية بمعنى ؟ ما هو أجلى المعاني التي كان ينكرها المشركون :

الأمر الأول : البعث بعد الموت .

الأمر الثاني : الحكم ما كانوا يعتقدون أن الحكم لله، وهذه من لوازم الربوبية .

وما كانوا يعتقدون البعث والنشور، وهذه من لوازم الربوبية لذلك اختل إيمانهم في (**الألوهية**) .

لذلك نقول الرسل أتوا على قوم لم ينكروا الربوبية في الجملة وإن كانوا أنكروا بعض أفرادها ولم يؤثر عن أحد أنه أنكر الربوبية إلا شرذمة قليلة شواذ من الناس، وأشهرهم فرعون عليه لعائن الله المتوالية والمتتابعة إلى يوم القيامة حكى الله عنه قوله : ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 24] وحكى أيضًا أنه قال : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38] هو يقول ذلك مكابرتًا لا شك في ذلك ، والدليل قال الله تبارك وتعالى : ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: 102] هو متأكد بصائر أي حجج وبراهين قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14] .

النوع الثاني : مما أنكر هؤلاء طائفة تسمى (**الثانوية والمنانوية**) هؤلاء اعتقدوا الربوبية في غير الله سبحانه جل في علاه لكن على سبيل الشركة قالوا هناك خالق للنور وخالق للظلمة؟ :

** خالق النور هو خالق الخير .

** خالق الظلمة هو خالق الشر .

واعتقدوا أن خالق النور أفضل من خالق الشر، وهذا في واقع الأمر ماذا ؟ الأفضل يكون هو الرب لكن طبعًا فيه شرك هنا، لمن خلق الظلم والشر .

يا إخواننا أنا أذكر لكم من أنكر الربوبية ما هي أنواعهم :

النوع الأول : من أنكروه على سبيل النسبة إلى أنفسهم مثل فرعون بل هو أشهرهم فرعون وكذلك النمرود .

النوع الثاني : من أنكروه على سبيل التشريك مثل (**الثانوية والمنانوية**) .

النوع الثالث : هؤلاء هم (**الملاحدة والشيوعيون**) وغير ذلك، الذين صرفوا معاني الربوبية إلى الطبيعة .

قالوا هي التي خلقت نفسها، والتي أوجدت نفسها، وهي التي نظمت نفسها فنسأل الله العفو والسلامة وهؤلاء ما زادوا

إلا أنهم نسبوا صفات الربوبية إلى غير الله فقط، لكنهم ما استطاعوا أن ينكروا الرب سبحان ربي العظيم .

وشعار دعوة الأنبياء والمرسلين هو (**لا إله إلا الله**) وهنا (**الإله**) أهل الحق يذهبون إلى أن الإله معناه (**المعبود**) .

فما الأدلة على أن (الإله) معناه المعبود؟ :

الأدلة على أن "الإله" معناه "المعبود" :

الدليل الأول : قال الله تبارك وتعالى : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 84] .

وجه الدلالة : فجعل الإله مقابل العبادة أي أصرفوا العبادة لله ما لكم من معبود سواه سبحانه .

الدليل الثاني : بيّن الله تبارك وتعالى حقيقة دعوة الأنبياء والمرسلين ، ماذا قالوا : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36] وفي آية أخرى فسرت هذه الدعوة بلفظ آخر.

فيكون اللفظ الأول (اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) واللفظ الثاني : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] إذًا (اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) هي (لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) ففسر الإله بأنه أيضًا (**المعبود**) .

الدليل الثالث : فسر المشركون هذه الكلمة ، فقال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: 5] و : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: 70] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم دعاهم ومن قبله دعاهم إلى (**لا إله إلا الله**) كيف فهمها المشركون؟ ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ فهموها بجلاء ووضوح إنا لله وإنا إليه راجعون غير ما يفهمه غيرهم من الضلال .

الدليل الرابع : قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 116] ماذا قال عيسى؟ قال : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: 117] فجعل مقابل (اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ) هو : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ إذًا جعل مكان الإله (**العبادة**) .

الدليل الخامس : قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 22] ثم قال : ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ [يس: 23] قال هو إن صرف العبادة لغير الله فقد اتخذ من دونه ألهه وهذا نص صريح على أن الإله هو الذي تُصرف له العبادة من دون الله سبحانه وجل في علاه .

الدليل السادس : من سنة النبي عليه الصلاة والسلام قال [أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ] حديث عمر في صحيح مسلم قال : [الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ] وفي : [الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا]، ففسر (**لا إله إلا الله**) بأن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا .

الدليل السابع: من فهم الصحابة قال ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل لفظ الجلالة (**الله**) قال : (الله هو ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين) .

الدليل الثامن : من النظر المشركون ماذا كانوا يعتقدون في ألهتهم ؟ هل كانوا يعتقدون فيها (النفع والضر) ماذا سموها أربابًا أم ألهه هؤلاء المشركين .

ومن النظر أيضًا أنه لو كان (لا إله إلا الله) أي أن الإله معناه لا خالق إلا الله لكان المشركون مسلمون لأنهم في واقع الأمر لم يقولوا عن أصنامهم أنهم يخلقون ، لما يعترضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن الخالق هو الله وأن الرازق هو الله وأن الذي يحي ويميت هو الله، بل اعترضوا عليه أن تصرف العبادة لله وحده .

خالف أهل السنة قوم فقالوا (الإله هو الخالق أو القادر) طبعًا لا يهولنك أنه مثلًا يذكر ذلك عن الإمام البيهقي ، لا يهولنك ذلك أن يذكر ذلك عن مالك سبحان الملك! ما الضير! أن يذكر ذلك على علماء كبار اخطأوا رضي الله عنهم جميعًا ورحمهم .

وهذا قول لأهل البدعة والضلالة بلا شك فقالوا (الإله هو الخالق أو القادر) ولم أرى في شبهات هؤلاء صراحة كلامًا له قيمة أنه يذكر أو يرد عليه غير شبهة واحدة أي شبهتهم في الاستدلال على ذلك : (الله حين أخذ الميثاق من بني آدم وهم في صلب أبيهم) ماذا قال لهم (ألست بربكم) واكتفى بهذا الميثاق أو أضاف إليه توحيد الألوهية؟ اكتفى إذًا طالما اكتفى إذًا (توحيد الألوهية يساوي توحيد الربوبية) أو تقول لي أن الميثاق هذا كان ناقصًا . ونقول لهم الميثاق كاملًا بفضل الله .

أولًا : لم يجعل الله تبارك وتعالى هذا الميثاق حجة ما معنى ذلك أي المعنى يوم ما أتنزل معك هذا الميثاق كان في الربوبية فقط الله لم يجعله حجة فهل الله تبارك وتعالى جعله حجة عليهم سبحانه جل في علاه ؟ لا لم يجعل حجة عليهم بل كان بمثابة أن يذكروا به فقط .

ثانيًا : هل الله تبارك وتعالى اكتفى بهذا الميثاق؟ لا إذًا ماذا فعل؟ أرسل الرسل وكان الميثاق أين؟ بل كانت حجة بميثاق الرسل قال الله تبارك وتعالى : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]

إذًا من غير الرسل عليهم حجة أو ليس عليهم حجة ؟ قبل الرسل لهم حجة وليس لهم حجة ؟ لهم حجة .

يا شيخ لو تنزلنا وقلنا (ألست بربكم) نقول هنا عندما قال (ألست بربكم) :

** إما أن يقال قصد بها ألست بربكم وإلهكم ويكون يطلق على الرب والإله وهذا حق لا إشكال في ذلك فالرب يطلق على الإله ونحن لسنا بصدد الكلام الرب يطلق على الإله أم لا يطلق على الاله .

** أو يقال أن الربوبية تستلزم الإلهية .

والدليل على ذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال [يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابًا] نسأل الله العافية والسلامة [لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به] يعني من هذا العذاب من هذا اليوم يعني ؟ [قال نعم ، قال قد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب أبيك فأبيت إلا الشرك] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أين أبى للشرك؟ الكل قال (**بلى**) فأبيت إلا الشرك ولا حول ولا قوة الا بالله .

نحن نقول لهم لو تنزلنا وقلنا أن ميثاق الذر كان في الربوبية ، نقول لهم هذه الربوبية :

** إما تستلزم الإلهية .

** أو الربوبية معناها الرب يعني (**الإله**) .

إما هذا أو هذا تقول لي ما الدليل على هذا الكلام الذي قلته أقول لك الدليل أن ربنا سبحانه وتعالى يقول لأهون أهل النار عذابًا [لو أن لك ما في الأرض جميعًا أكنت تفتدي به] يعني مما أنت فيه الآن من العذاب؟ فيقول نعم ، فيقول له : [طلبت منك ما هو أهون من ذلك] متى (**و أنت في صلب أبيك**) فأبيت إلا الشرك.

هل وهو في صلب أبيه أشرك ؟ لا في صلب أبيه قالوا بلى [فأبيت إلا الشرك] يعني أبيت إلا الكفر أي كفر أي أخذه بالميثاق الذي هو بعد ذلك أصلًا أنا أتنزل معهم وإلا فالسياق أصلًا [فأبيت إلا الشرك] يعني أبيت إلا الشرك عندما جاءك الأنبياء والمرسلون فاهم قصدي لكن لو تنزلت معهم أقول لهم : [أبيت إلا الشرك] فسماه الله تبارك وتعالى مشركًا بذلك أي وكأنه قال (ألست بربكم قالوا بلى؟) على الربوبية والإلهية لأنه بعد ذلك أشرك وسماه مشركًا سأقول له (الربوبية تستلزم الالوهية) لأن الله قال لك [فأبيت إلا الشرك] .

قال ابن عباس : (مسح الله على صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة خلقها إلى يوم القيامة وأخذ عليهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا) واضح هذا عند التنزل معهم .

إذًا (كيف أخذ عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا) :

** إما أن يكون الرب بمعنى (الرب والإله) .

** أو يكون توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فقط .

وليس هذا معناه أن الرب هو الإله أو أن توحيد الربوبية هو توحيد الإلهية وعليه أهل الحق قالوا على ما سبق (أن الإله هو المعبود) فأهل الحق قالوا أن لا إله إلا الله معناها (**لا معبود بحق إلا الله**) قالوا لأن (**لا**) هنا لا النافية للجنس وأن الخبر هنا محذوف تقديره (**حق**) فـ (لا إله) يعني (**لا إله معبود حق إلا الله**) سبحانه جل في علاه .

ودليل هذا التقدير قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: 62]

إذًا ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ يعني ذلك بأن الله هو المعبود بحق وأن الذي يدعى من دونه ويعبد من دونه هو ماذا ؟ الباطل يبقى (**لا إله إلا الله**) يعني لا إله حق إلا الله سبحانه جل في علاه .

طبعًا خالفنا في ذلك أقوام :

الأول : فقيل (**لا إله إلا الله**) يعني معناها لا معبود موجود إلا الله .

قلنا لهم هذا فيه خلل قالوا ما الخلل؟ قلنا لهم لا معبود موجود إلا الله هذا خطأ لأن بوذا إله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: 23] اللات العزة إله بل هناك من اتخذ عيسى إله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يبقى قولك لا معبود موجود إلا الله هذا خلل .

فرد علي وقال لا أنا ما قصدت موجود فقط أنا أقصد لا معبود حق موجود إلا الله قلنا هذا تقدير موهم ولو قلت الكلام لا معبود موجود إلا الله هذا يوهم فيدخل على الناس إيهامً فتجنب ذلك أولى والخبر في ذلك موجود ضعيف تقدير الخبر في ذلك موجود ضعيف والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم وأن الأقوى منه تقديره بحق .

الثاني : وذهب بعض علماء أهل الكلام طبعًا ليسوا علماء أهل كلام لأن الكلام ليس من صار فيه عالمًا يسمى عالمًا بحال من الأحوال ونقل على ذلك ابن دقيق المقداد الإجماع .

لكن تكلم في ذلك من المتكلمة ذكر السنوسي أن (**لا إله إلا الله**) أي لا قادر على الاختراع إلا الله .

فقال : [لا مستغنيًا عما سواه ولا مفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله] :

هذا ما معناه ؟ فسر الإله بماذا ؟ بالخالق بالربوبية وهذا طبعًا فرع على ما سبق أنهم فسروا إله بأنه الخالق القادر على الاختراع واضح .

الثالث : وذهب أهل الاتحاد والحلول إلى أن (**لا إله إلا الله**) أي لا موجود إلا الله .

انظر (**لا إله إلا الله**) أي لا موجود إلا الله لأن هؤلاء يروا أن كل الكون عبارة عن ماذا ؟ ..... تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

فقال عبد الكريم الجيلي :

كلمة الشهادة مبنية على السلب وهي (**لا**) وعلى الإيجاب وهي (**إلا**) ومعناه لا وجود لشيء إلا الله .

يعني القلم والورقة والهاتف وأنت والكرسي وهذه الأشياء كله يعتقد أنها من هي الله تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا وهذا يستلزم طبعًا لازم بسيط جدًا ألا وهو (أن الذي سيسجد للصنم سجد لمن؟ لله) والذي سيعبد أي دين حق والذي هـ سيسجد لأي أحد والذي لا يعبد أي شيء ويعبد نفسه خلاص وأن الأنبياء والمرسلين ضيقوا على الناس هكذا الواسع وهذا معلوم بالضرورة بطلانه في الإسلام نسأل الله العفو والسلامة .

قال رحمه الله : [وأعلم أن الله لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم والرازق لهم ونحو ذلك فأن هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾ [الزخرف: 87]]

المصنف الآن يعدد الآيات التي تبين أنهم أقروا بمعاني الربوبية أو بأغلب معاني الربوبية:

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾ [الزخرف: 87] .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 9] .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: 31] كل هذه المعاني سيقولون عليها ماذا؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31] .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: 84 - 85]

.

أي الله تبارك وتعالى بعد ما تكلم عن بعثهم ونصرهم يقول : ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي هذه الأرض هذه ومن فيها ملك لمن؟ ملك لله سبحانه جل في علاه : ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي أن قلتم لله : ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أفلا يحملكم هذا تذكرة ووعظًا على أن تؤمنوا بأن الذي يملك الأرض ومن فيها قادر على بعثكم بعد مماتكم سبحانه جل في علاه .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي أفلا تتقون باتباع أمره واجتناب نهيه أفلا تتقون بتوحيده سبحانه جل في علاه وترك شركه .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ﴾ [المؤمنون: 88] يعني يحمي سبحانه جل في علاه ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ لا يحمى منه أحد سبحانه جل في علاه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي كيف تذهب عقولكم وكيف تخدعون بعبادة غير الله سبحانه جل في علاه وتصرفون العبادة لغيره سبحانه جل في علاه .

قال المصنف : [ولهذا نجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار معنونًا باستفهام التقرير] :

استفهام التقرير: يعني استفهام الغرض منه التقرير .

هل من خالق غير الله؟ سبحان ربي العظيم : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: 3] أي أن تصرفون وتنقلبون إلى عبادة غيره .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10] سبحانه جل في علاه أي في توحيده شك أي في وجوده شيك شك وهو فاطر السماوات والأرض سبحانه جل في علاه .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام : 14] سبحانه جل في علاه .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: 11] يعني الذين اتخذتموهم ألهه صرفتم إليها العبادة من دون الله هل خلقوا شيئًا من دون الله سبحانه وجل في علاه كل هذا إنكارًا عليهم .

قال : [بل بعث الله رسله و أنزل كتبه لإخلاص توحيده و إفراده بالعبادة يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وقوله إلا تعبدوا إلا الله وقوله أن اعبدوا الله و اتقوه وأطيعون وقوله واجتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد أباؤنا وقوله واعبد الله ما لكم من إله غيره وقوله و إياي فاعبدون] :

كل هذا بصرف العبادة له وحده دون ما سواه سبحانه جل في علاه كما سبق في حافظات بيان الأنبياء والمرسلون فالإخلاص (هو توحيد العبادة لله سبحانه جل في علاه) فالإخلاص أن تصرف كل أنواع العبادة لله وحده ليس الإخلاص أن تعبد إلهًا واحدًا بل الإخلاص والتوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره .

فالتوحيد بحق لا أن تصرف العبادة لإله غير الله سبحانه وتعالى عما يشركون فهذا شرك بل حقيقة التوحيد أن تصرف العبادة له وحده وبينا بفضل الله سبحانه جل في علاه حقيقة التوحيد الذي جاء به الأنبياء والمرسلين في أول المحاضرة لذلك قال الله وتعالى : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] .

والدعاء نوعان دعاء مسألة ودعاء عبادة :

دعاء العبادة : هو صنوف العبادة المختلفة من الصلاة والصيام والحج وغير ذلك والذكر .

فهذا يسمى دعاء لكنه دعاء عبادة وهناك أيضًا النوع الآخر .

دعاء المسألة : هو أن تسأل ربك سبحانه جل في علاه سؤالًا مباشرًا أو أن تستغيث أو أن تستعين به سبحانه جل في علاه .

فقوله : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ :

تدعو: فعل والفعل تضمن (نكرة + زمن) في سياق النهي تفيد العموم أي دعاء سواء كان دعاء مسألة أو دعاء عبادة

مع الله أحدًا : أيضًا نكرة في سياق النهي تفيد عموم أي أحد لا ملك مقربًا ولا نبيًا مرسلًا .

وقال تبارك وتعالى : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: 14] فالله تبارك وتعالى لا إله حق سواه ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي الذين تصرفون إليهم العبادة وتعبدونهم من دون الله سبحانه جل في علاه وهنا قال ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ هذا عام في كل من صرفت إليه العبادة من دون الله سبحانه جلت علاه .

﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ فهم في واقع الأمر لا يملكون لهم ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا لذلك حصر وقصر سبحانه جل في علاه العبادة عليه لا على غيره فقال : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13] وهذا حصر وقصر يعني توكلوا على الله لا على غيره : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] يعني التوكل يصرف إلى الله لا إلى غيره وقد وضع له شرطًا يعني من علامات الإيمان من شروط الإيمان أن تكون متوكلًا عليه فإن صرف التوكل على غير الله كان هذا كفرا نسأل الله العفو والسلامة .

استدل المصنف بهذه الآيات المذكورة على أن إخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن تكون المعاني التي هي عبادة سواء كانت العبادة عن طريق دعاء المسألة أو عن طريق دعاء العبادة بكل أنواعها لا يصح إلا أن تكون لله سبحانه جل في علاه هذا هو إخلاص التوحيد وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117]

ثم أخذ المصنف رحمه الله يقرر حقيقة شرك المشركين .

قال : [وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله إليهم خاتم رسله صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا باعتقادهم

أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم إلى الله وتشفع لهم عندهم مع اعترافهم بأن الله سبحانه هو خالقها وخالقهم ورازقها ورازقهم ومحيها ومحييهم ومميتها ومميتهم] :

اعتقاد أهل الشرك يعني حقيقة الشرك الذي كان عليه المشركون الذين كفرهم رسول الله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم ونزلت فيهم آيات الشرك ما كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام التي عبدوها من دون الله وصرفوا إليها العبادة من دون الله لم يكونوا يعتقدوا فيها أنها تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت .

بل اعتقدوا فيها النفع والضر فتقربهم إلى الله سبحانه جل في علاه وتشفع لهم عند الله فصرفوا لها العبادة من هذا الباب ومع ذلك سماهم الله المشركين وسماهم نبيه عليه الصلاة والسلام مشركين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم على هذا الشرك ودعاهم إلى التوحيد .

فلا ينبغي ولا يصح أن يقوم أحد يدعي الإسلام ويفعل نفس فعل المشركين نسأل الله العفو والسلامة ثم يقول أن هذا هو الإسلام فإن هذا هو العجب العجاب واستدل المصنف رحمه الله رحمة واسعة بهذا الذي ذكره باعتقاد المشركين فاستدل بقولهم : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3] فهذا بيان لحال المشركين على ألسنتهم أنهم ما عبدوا هذه الأصنام وما صرفوا لها العبادة من دون الله لا لشيء غلا لنها بصرفهم العبادة لها تقرب عند الله في المكانة فهم اتخذوها واسطة إلى الله سبحانه جل في علاه .

لذلك ومع الأسف ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله رحمة واسعة في (قواعده الأربعة) في القاعدة الرابعة أن شرك المتأخرين أشد وأغلظ من شرك المتقدمين لماذا؟ انظر إلى شرك المتقدمين انظر ما صرفوا العبادة لأصنامهم إلا لتقربهم إلى الله زلفى وهناك من مشركي اليوم الذين يدعون الإسلام يصرفون العبادة إلى (المقبورين وإلى الأولياء) صراحة لا لشيء إلا ليتقربوا عند هؤلاء الأولياء سبحان ربي العظيم .

بل المشركون : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: 65] فعند الاضطرار لا يدعون سوى الله سبحانه جل في علاه أما الذين يقعون في الشرك الآن إذا اشتد بهم الكرب وادلهم بهم الخطب ونزلت بهم الأمور الدواهي وأحاطت بهم الدوائر يستغيثون بابي عباس المرسي والسيد البدوي وإنا لله وإنا إليه راجعون سبحان ربي العظيم .

وقال أيضًا واستدل بقوله : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]

قال : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ الند هو (النظير والشبيه والعدل) ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي لا تجعلوا لرب العالمين سبحانه جل في علاه نظراء وأنداد فليس له سبحانه جل في علاه شريك ليس له شبيه فلا تجعله لله أندادًا في المحبة ولا في العبادة في أي شيء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 97 - 98] الكفار يقولون وهم في نار جهنم ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ أي إذ نسوي الأصنام بالله تبارك والسؤال هل سوو الأصنام بالله في الربوبية؟ الجواب لا .

كما سبق وبينا في أول الدرس هم ما كانوا يعتقدون هذه الأشياء إلا في الله سبحانه جل في علاه أعني إفراد توحيد الربوبية إذًا فأين كانت المساواة؟ كانت المساواة في صرف العبادة في استحقاق صرف العبادة : ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذه حقيقة ما كان عليه أهل الشرك الذين كفرهم رسول الله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم .

كذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106] أي ما يؤمن أكثرهم بالربوبية إلا وهم مشركون بالإلهية .

وهنا نؤكد على المسألة سبق بيناها ونؤكد عليها بمزيد إيضاح ما يؤمن اكثرهم بالربوبية غير الكاملة وإلا فلو امنوا بالربوبية الكاملة كان حتمًا ولزامًا أن ينتج عن هذه الربوبية الكاملة إيمان كامل بالإلهية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ [يوسف: 106] أي به ربًا ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ في إلهيته فيصرفون العبادة لغيره سبحانه جل في علاه .

وقوله : ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: 18] هذا أيضًا سبيل من السبل التي اتخذها المشركون في صرف العبادة إلى الأصنام التي عبدوها من دون الله أنهم اتخذوها وسائط وشفعاء تشفع لهم عند الله سبحانه جل في علاه ولم يكونوا يعتقدون أن هذه تتحكم في اللات تعالى الله عز وجل عن ذلك علوًا كبيرًا .

بل في تلبيتهم ظهر ذلك جليًا يقولون (لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك ملكته وما ملك) انظر يصرحون بأن هذه الأصنام مملوكة لله ولا تملك شيئًا ولا حول ولا قوة إلا بالله الآن يعتقدون أن أبي العباس المرسى والسيد البدوي يدبر الكون من دون الله سبحانه جل في علاه فنسأل الله العفو والسلامة هذا اعتقاد المشركين فأين هذا الاعتقاد من اعتقاد الذين يعبدون القبور ويصرفون إليها صنوف العبادة من دون الله سبحانه جل نسأل الله أن يهدينا ويهدي بنا ويجعلنا سببًا لمن اهتدى ويهدي جميعًا المسلمين إنه ولي ذلك وحده والقادر عليه .

نكتفي بهذا القدر هذا ورد العلم إليه أسلم والله أعلم وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين وجزاكم الله خير الجزاء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .